عبقرية تاتشر ومزايدات بوريس جونسون

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

رد رئيس اللجنة الأوروبية جان كلود يونكر على تهديد رئيس الوزراء البريطاني الجديد بوريس جونسون بالخروج من دون اتفاق من الاتحاد الأوروبي بجملة بسيطة. قال يونكر إن الاتفاق الذي توصلت إليه رئيسة الوزراء البريطانية السابقة تيريزا ماي مع الاتحاد الأوروبي هو "الاتفاق الأفضل والوحيد الممكن". هذا يعني عمليا، في ضوء الموقف الأوروبي، أنّه لم يعد أمام بوريس جونسون سوى خيار واحد. يتمثل هذا الخيار في تنفيذ تهديده بالانسحاب من الاتحاد في الواحد والثلاثين من تشرين الأوّل – أكتوبر المقبل... هذا في حال صمدت الحكومة البريطانية الجديدة ولم تتعرّض لهزّة داخلية بسبب الانقسامات التي يعاني منها حزب المحافظين الذي غيّر بوريس جونسون طبيعته وحوّله إلى حزب بريكست.

ما حصل في المملكة المتحدة كان انقلابا بكلّ معنى الكلمة، خصوصا بعد اختيار بوريس جونسون الزعيم الجديد للحزب تشكيل حكومة تضم صقور بريكست، الذين لا يهمهم سوى الخروج من الاتحاد الأوروبي.

ليست الحكومة الجديدة حكومة حزب المحافظين الذي يضمّ عددا كبيرا من الشخصيات المعارضة لبريكست. هؤلاء حالوا ثلاث مرات دون تمرير الاتفاق الذي توصلت إليه ماي مع الاتحاد الأوروبي. قرّر بوريس جونسون تجاوز كلّ الاعتبارات التي تتحكم بتشكيل الحكومة وعزل كلّ من لا يؤمن ببريكست، تمهيدا لخروج بريطانيا من الاتحاد بأي ثمن كان.

ستدفع بريطانيا ثمنا كبيرا في حال خروجها من الاتحاد الأوروبي بسبب غياب قيادة سياسية تقود الشارع بدل أن تنقاد له، خصوصا بعدما تبيّن أن الاستفتاء على الخروج من الاتحاد الأوروبي قبل ثلاث سنوات كان خطأ كبيرا، بل خطيئة. تبيّن، بكلّ بساطة بعد الاستفتاء، أن الخروج مهمّة شبه مستحيلة... لا لشيء سوى لأن بريطانيا خارج الاتحاد الأوروبي ستعود إلى خلف.

العودة إلى خلف ليست عودة إلى العصر الذهبي الذي بدأ في العام 1979 بوصول مارغريت تاتشر إلى موقع رئيس الوزراء. العودة إلى خلف تعني العودة إلى أيّام هارولد ولسون في ستينات القرن الماضي عندما عجزت بريطانيا عن إيجاد صيغة تضمن لها التكيّف مع مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية والعيش في ظلّ وهم اسمه القوّة العظمى.

ما حصل في المملكة المتحدة كان انقلابا بكلّ معنى الكلمة، خصوصا بعد اختيار بوريس جونسون الزعيم الجديد للحزب تشكيل حكومة تضم صقور بريكست، الذين لا يهمهم سوى الخروج من الاتحاد الأوروبي

تكمن عبقرية مارغريت تاتشر في قدرتها على التكيّف مع التطورات التي شهدها العالم منذ الحرب العالمية الثانية. فعلت ذلك عن طريق خلق واقع جديد في بريطانيا ودور لها في مجالات مختلفة. في مقدّم هذه المجالات، التحوّل إلى الحليف الأوروبي الأقرب للولايات المتحدة من جهة وتحويل لندن إلى مركز مالي عالمي من جهة أخرى.

امتلكت تاتشر رؤية في حين لم يستطع أيّ من الذين خلفوها، بمن فيهم العمالي توني بلير، طرح أي جديد من أيّ نوع. كانت رؤية تاتشر قوية وذات تأثير إلى درجة أن بلير لم يخض الانتخابات ويفوز فيها إلّا بعد تخليه عن كلّ الأفكار التي سبق لحزب العمال أن طرحها. اعتمد في الواقع أفكار تاتشر وأعلن أنه يخوض الانتخابات على رأس حزب العمّال "الجديد"(new labour).

ليس معروفا إلى الآن كيف وقع ديفيد كاميرون الذي كان رئيسا للوزراء في الفخّ الذي نصبه له أولئك المطالبون بخروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي. لم يدر مخاطر الاستفتاء في ظل انتهازيين مثل بوريس جونسون أو نايجل فاراج يستطيعون بيع الأوهام وإقناع عدد كبير من البريطانيين بأنّ مصدر كلّ مصائبهم هو أوروبا.

ظهر جليّا مع مرور الوقت أنّ كلّ الأرقام التي طرحوها، خصوصا تلك المرتبطة بنظام الضمان الصحّي الذي يستفيد منه الأوروبيون المقيمون في بريطانيا غير صحيحة. أكثر من ذلك، تبيّن أن كلّ ما له علاقة بالهجرة إلى بريطانيا ووصف هذه الهجرة من بلدان أوروبا الشرقية، التي انضمت حديثا إلى الاتحاد الأوروبي، لا يمت إلى الحقيقة والواقع بصلة.

على الأرض، لا وجود لعمال بناء بريطانيين ولا وجود لموظفين بريطانيين في الفنادق أو المطاعم. هناك شبه غياب للبريطاني عن مطاعم لندن وفنادقها. فوق ذلك كله، إن بريطانيا تحوّلت إلى مكان لتجميع السيارات اليابانية وغير اليابانية. لا توجد شركة سيارات كبيرة بريطانية. "رولز رويس" مملوكة من مجموعة "بي.أم.أف" الألمانية و"بنتلي" من مجموعة "فولكسفاغن" الألمانية أيضا. لا داعي من دون شكّ للحديث عمّن يملك الشركات الأخرى مثل "جاغوار" أو "روفر".

ما حصل أن بريطانيا دخلت عالما جديدا من خلال البوابة الأوروبية. كانت المستفيد الأوّل من الاتحاد الأوروبي واستطاعت الحدّ من النفوذ الفرنسي والألماني داخل الاتحاد عن طريق توسيعه ودفع دول أوروبا الشرقية إلى الانضمام إليه.

هناك مجموعة من المزايدين، من بينهم بوريس جونسون، دفعت في اتجاه الاستفتاء على الخروج من الاتحاد الأوروبي. لعب هؤلاء على مشاعر المواطنين السذّج ومن بينهم عدد لا بأس به من الأجانب الذين يحملون الجنسية البريطانية. ضاق ذرعا هؤلاء، وكان بينهم لبنانيون يحملون جوازا بريطانيا، بكثرة "الغرباء" في لندن!

سيفشل بوريس جونسون وسيكون فشله ذريعا. لا لشيء، سوى لأنّه ليست لديه رؤية. يستطيع إلقاء خطاب جميل ذي عبارات منمّقة وشعارات تجذب السذّج. ولكن ماذا بعد ذلك؟ ما لا يستطيع قوله هو إن بريطانيا تتجه بخروجها من الاتحاد الأوروبي إلى كارثة حقيقية.

مهمّة الخروج، "من دون إذا أو ولكن"، سيتولاها بوريس جونسون الذي لا يمتلك صفة القيادي الذي يرفض بيع شعبه الأوهام. لم يكن الخطاب الذي ألقاه بعد فوزه بزعامة حزب المحافظين سوى خطاب تسويق للأوهام محوره نجاحات في ميادين معيّنة، بينها الطبّ والأبحاث العلمية، لا يمكن لبريطانيا تسويقها. لم يجب عن سؤال في غاية البساطة. أي شركة عالمية ستستثمر في بريطانيا في حال باتت هناك حواجز جمركية تفصل بينها وبين دول الاتحاد الأوروبي الأخرى؟

تعلّمت مارغريت تاتشر من تجارب الماضي القريب. تعلّمت خصوصا من الفشل المستمرّ لحزب العمّال الذي أفقر بريطانيا. وتعلّمت من حرب السويس للعام 1956، وهي حرب كشفت حدود القوّة البريطانية واستحالة عصيان الولايات المتحدة أو السير في سياسات من خلف ظهرها.

يمكن للولايات المتحدة مساعدة بوريس جونسون في الأزمة القائمة مع إيران. الأكيد أن هذه المساعدة ستكون مرتبطة بشروط أميركية. لكنّ ما لا يستطيعه الرئيس دونالد ترامب وإدارته هي إعادة الحياة إلى حكومة بريطانية ستجد نفسها عاجلا أم آجلا أسيرة مهمّة شبه مستحيلة، هي مهمّة الخروج من الاتحاد الأوروبي.

ستخرج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي... ولكن إلى أين ستخرج؟ هل تخرج إلى الأوهام التي يسوّقها بوريس جونسون الذي لا يدرك أن الأوهام تبقى أوهاما مهما جرى تغليفها بكلام جميل لا ترجمة له على الأرض.

زاوية نظر ضيقة

بريكست وإيران وهواوي... قضايا ساخنة تنتظر بوريس جونسون

لندن - عرض رئيس الوزراء البريطاني الجديد بوريس جونسون السبت، في خطاب ألقاه في مانشستر، جدول أعماله الداخلي المتعلق بمجالات الصحة والتعليم والبنى التحتية، إلا أن ملفاته الخارجية تبقى الأكثر حسما في المرحلة المقبلة. وتنتظر جونسون العديد من القضايا الساخنة على مكتبه، وتتراوح من خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي إلى الأزمة الدبلوماسية مع إيران وقضية شبكة الجيل الخامس في المملكة المتحدة المرتبطة بملف شركة هواوي الصينية وأزمتها مع الولايات المتحدة.

● خروج من الاتحاد الأوروبي

في كلمتها الأخيرة التي ألقتها كرئيسة لوزراء البلاد في 24 يوليو، أوضحت تيريزا ماي المهمة الرئيسية التي تنتظر خلفها في 10 داونينغ ستريت قائلة إن "الأولوية العاجلة تكمن في تحقيق خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي". وفي كلمته الأولى كرئيس للوزراء بدا جونسون واضحا في تمسكه بالخروج سواء باتفاق أو دونه في الموعد المحدد، وهو 31 أكتوبر 2019. ثم بدأ يجسّد أولى خطواته العملية من خلال تشكيل حكومة محافظين أغلبها من المؤيدين لبريكست.

سيتوجب على جونسون العمل على كسر الأزمة، بعد أن رفض البرلمان البريطاني اتفاق تيريزا ماي مع بروكسل ثلاث مرات مما دفعها إلى مطالبة الاتحاد الأوروبي بتأجيل تاريخ خروج بريطانيا من الاتحاد مرتين. وبعد أن كان مقررا في 29 مارس، امتدت المهلة الممنوحة للبلاد إلى 31 أكتوبر.

وقال الباحث البريطاني، تيم دورانت، إن جونسون سيواجه نفس البرلمان الذي تعاملت معه تيريزا ماي، ويشمل أغلبية مجلس العموم والمشرعين الذين رفضوا كل محاولات ماي لترك الاتحاد الأوروبي إما مع صفقة وإما دونها. وأضاف دورانت أن جونسون يصور نفسه على أنه الشخص الوحيد القادر على إتمام عملية خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي في الموعد المحدد، وأن هذا الأمر يعمل على تغيير التشكيلة البرلمانية لضمان نجاحه، ويتطلب ذلك إجراء انتخابات.

وتعهد جونسون بتسريع المفاوضات حول اتفاقيات تجارية لمرحلة ما بعد بريكست، وإنشاء مناطق حرة لتحفيز الاقتصاد، كما وعد باستثمارات جديدة في مناطق صوتت لصالح الانسحاب من الاتحاد الأوروبي.

جاء موقف جونسون خلال خطاب في مانشستر عرض فيه جدول أعماله الداخلي المتعلق بمجالات الصحة والتعليم والبنى التحتية بعدما سعى لدحض تكهنات إزاء احتمال دعوته لانتخابات مبكرة. وتكهن المعلقون أن يكون جونسون يستعد للدعوة لانتخابات عامة، على أمل استعادة الغالبية المحافظة التي خسرتها ماي في انتخابات 2017.

وقال جونسون إن الانتخابات ليست من أولوياته. واستبعد جونسون "تماما" الدعوة لانتخابات مبكرة قبل أن تغادر بريطانيا التكتل الأوروبي.

وقال إن "الشعب البريطاني صوت في 2015 و2016 و2017". وأضاف "ما يريدوننا أن نفعله هو تحقيق المهمة التي أوكلوها، وهي الخروج من الاتحاد الأوروبي في 31 أكتوبر". وقال "لا يريدون انتخابات أخرى، لا يريدون استفتاء آخر، ولا يريدون انتخابات عامة". غير أن البريطانيين يمكن أن يتوجهوا إلى صناديق الاقتراع في حال أسقط النواب حكومة جونسون الجديدة في تصويت بسحب الثقة، سعيا لتجنب بريكست من دون اتفاق.

ووصف الاتحاد الأوروبي، الذي قال إنه لن يغيّر الاتفاق، موقف جونسون بأنه عدائي ولن يسهّل حل الأزمة. كما قال نائب رئيس الوزراء الأيرلندي، سيمون كوفيني، إن جونسون يتخذ منهجا للتصادم مع الكتلة. من جهته، قال رئيس الوزراء الأيرلندي ليو فاردكار إن قضية توحيد أيرلندا وأيرلندا الشمالية التي تخضع للحكم البريطاني ستثار حتما إذا خرجت بريطانيا من الاتحاد الأوروبي دون اتفاق.

وحذر فاردكار من أن ما يعرف بالخروج الصعب لبريطانيا من التكتل قد يقوّض وضع اسكتلندا في المملكة المتحدة، مشيرا إلى أن الناخبين في اسكتلندا، حيث صوّت 62 بالمئة لصالح البقاء في الاتحاد الأوروبي في استفتاء عام 2016، قد يقومون بمسعى جديد للاستقلال.

● الأزمة مع إيران

يأتي وصول بوريس جونسون إلى 10 داونينغ ستريت في وقت تواجه فيه المملكة المتحدة أزمة دبلوماسية مع إيران. في 19 يوليو، احتجزت القوات التابعة لطهران ناقلة نفط سويدية ترفع العلم البريطاني في مضيق هرمز، في وقت تصاعدت فيه التوترات بين إيران والولايات المتحدة. وجاء هذا بعد أسبوعين من احتجاز السلطات البريطانية لناقلة إيرانية قبالة مضيق جبل طارق بعد أن اتهمتها بانتهاك الحظر الأوروبي المفروض على نقل النفط إلى سوريا.

في هذه القضية الملتهبة، تبدو المملكة المتحدة ممزقة بين موقف الولايات المتحدة الذي يسعى لإضعاف النظام الإيراني كما برز في خروجها من الاتفاقية النووية الإيرانية المبرمة سنة 2015 وإعادة فرض عقوبات على البلاد، وموقف الدول الأوروبية التي تريد تجنب تصاعد التوترات والحفاظ على ما بقي من الاتفاق النووي.

قبل انتخابه، بدا جونسون أقرب إلى الرؤية الأوروبية في قناعاته، حيث أعلن في منتصف يوليو أنه لن يدعم التدخل العسكري ضد إيران إذا قررت الولايات المتحدة التصعيد. وستمثل هذه الأزمة الدبلوماسية اختبارا لجونسون، الذي تعرض لانتقادات شديدة سنة 2017 بسبب طريقة تعامله مع قضية نازنين زغاري-راتكليف البريطانية من أصول إيرانية المسجونة في طهران عندما كان يشغل منصب وزير الخارجية. فقد أعلن الوزير أمام لجنة برلمانية حينها أنها كانت في العاصمة الإيرانية لتدريب صحافيين مما أكد التهم الموجهة إليها، إذ لم تكن تصريحاته سليمة وقال أقرباؤها إنها كانت هناك في إجازة.

● تطوير شبكة الجيل الخامس

إلى جانب خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، تركت تيريزا ماي قرارا مهما لخلفها في 10 داونينغ ستريت. وسيتعين على جونسون أن يقرر ما إذا كانت شركة هواوي الصينية العملاقة ستشارك في تطوير شبكة اتصالات الجيل الخامس الجديدة في المملكة المتحدة. وكما هو الحال مع الأزمة مع إيران، أصبحت العلاقات بين لندن وواشنطن على المحك مرة أخرى.

جونسون سيواجه نفس البرلمان الذي تعاملت معه تيريزا ماي، ويشمل أغلبية مجلس العموم والمشرعين الذين رفضوا كل محاولات ماي لترك الاتحاد الأوروبي إما مع صفقة وإما دونها

بسبب الاشتباه في تجسس شركة هواوي لصالح بكين، استبعدت الإدارة الأميركية الشركة الصينية من تطوير شبكات الجيل الخامس في الولايات المتحدة. وفي أوج الحرب التجارية الصينية الأميركية، أدرج ترامب الشركة في القائمة السوداء للمصدرين مما منعها من بيع منتجاتها إلى شركات التكنولوجيا الأميركية.

ورغم تخفيف الرئيس من حدّة موقفه، تواصل الولايات المتحدة جهودها الرامية لإبعاد هواوي من أوروبا، وتسعى إلى دفع بلدان القارة العجوز إلى الوقوف في صفها لمنع هواوي من المشاركة في سوق شبكات الجيل الخامس. وبالتالي، سيمثل قرار بوريس جونسون عنصرا مهما ستأخذه الولايات المتحدة بعين الاعتبار.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk